

الأخلاق في القرآن فروع المسائل الأخلاقية

[12] أيضاً من مصاديق ذلك، فنقرأ في القسم الثالث من الآيات، أنَّ الباري تعالى قال عن فرعون: (وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ * أَمْ أَرَأَىٰ أَن يُدْرِكَ مِنَ هَذَا الشَّيْءِ هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ السُّورَةُ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ). وقد جمع فرعون في هذه الآية عدَّة رذائل، الغرور، التكبر، حبَّ الجاه واغفال البُسطاء من الناس، والغريب في الأمر أنَّ فرعون شاهد معجزات النبي موسى (عليه السلام) بعينه ولكنه أصرَّ واستكبر وتمسك بمسألة الطبقة الاجتماعية والأسورة من الذهب، ولثغة موسى ذلك من الله تعالى). وعلى أيَّة حال فإن فرعون لم يزد قومه إلاَّ ضللاً. وفي "الآية الرابعة" من هذه الآيات نواجه قصة "قارون" فهو من النماذج البارزة للأشخاص الذين يعيشون حبَّ الجاه عند بني اسرائيل، وهي الصفة القبيحة التي أودت بحياته وأرسلته إلى الحضيض. فيا للعجب من الغرور وحبَّ الجاه كيف يضع الحجب على بصيرة وفهم الإنسان ويمنعه من درك أكثر الأمور بدهاءً، فعندما وعصه بعض بني اسرائيل وقالوا له: بما أنَّ الله قد أنعم عليك فابتغ فيما آتاك الله من النعم الدار الآخرة، ولا تنس نصيبك من الدنيا، فكل شيء آيلٌ إلى الزوال وإيَّاك أن تستعمل هذه الأموال للإفساد في الأرض ومحاربة الرسول (عليه السلام). فقال ذلك الرجل المغرور في جوابه: (قَالَ أُوتِيتهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي...) قال ذلك واستمر في عناده وجموحه، ولأجل أن يرضي غريزة حبَّ الجاه عنده، خرج على قومه بزيينة من الخيل والخدم وكثرة الغلمان الذين كانوا يجلسون على سرج من ذهب ويلبسون أنواع الحُلِي الذهبية. وقد أخذ مثل ذلك المنظر البراق والمخادع بقلوب وعقول بني اسرائيل فقالوا: (قَالَ الَّذِينَ يَرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ).